

التحولات التكنولوجية وأثرها على التغيير الشبكات الاجتماعية على الأنترنت-نموذجاً-

الأستاذة صونية عبيدش

أستاذة وباحثة في علوم الإعلام والاتصال، كلية علوم الإعلام والاتصال-جامعة الجزائر-3

«نحن أمة من الفاييس بوك وغوغل».

الرئيس الأمريكي باراك أوباما، واصفا لأهمية مواقع التواصل الاجتماعي في التغيير أمام الكونجرس الأمريكي، في خطاب حالة الأمة، 25/1/2011.

الملخص

أدى التطور المذهل في وسائل الاتصال والإعلام في العصر الحالي، إلى ظهور نوع جديد من الإعلام التفاعلي محطما القيود الإعلامية، فلم تعد الرسائل الإعلامية حكراً على المؤسسات الحكومية، ولم يعد الفرد مجرد مستقبل لها كما كان في الماضي، بل أصبح دون تكلفة أو جهد كبير صانعاً ومرسلاً لها هو الآخر، وجزءاً من شبكات تفاعلية ضخمة وميسرة الاستخدام، هي أدوات الإعلام الجديد، ومنها الشبكات الاجتماعية على الأنترنت»، التي أحدثت الكثير من التغيير في مختلف المجالات.

الكلمات المفتاحية: الشبكات الاجتماعية، الإعلام الجديد، التغيير، الأنترنت، التحولات التكنولوجية.

المقدمة

في البداية علينا الإشارة إلى أن صورة بلداننا العربية تعكس عموماً هيمنة الدولة على وسائل الإعلام، فرغم وجود وسائل الإعلام، إلا أن هناك سيطرة اللوبيات السياسية والاقتصادية من مقاولين ورجال أعمال، أضف إلى ذلك غياب الإرادة السياسية في تتبع المعتدين على الصحفيين، وكذا ضعف احترام أخلاقيات المهنة الصحفية.

بالموازاة مع ذلك فإن التطور المذهل الذي عرفته وسائل الاتصال والإعلام، أدى إلى ظهور نوع جديد من الإعلام التفاعلي محطما القيود الإعلامية، فلم تعد الرسائل الإعلامية حكراً على المؤسسات الحكومية، ولم يعد الفرد مجرد مستقبل لها، كما كان في

الماضي، بل أصبح ومن دون تكلفة أو بذل جهد كبير صانِعاً ومرسلاً لها هو الآخر، وجزءاً من شبكات تفاعلية ضخمة وميسرة الاستخدام، هي «أدوات الإعلام الجديد».

إن تطور الأنترنت أعطى دفعة جديدة لجميع وسائل الإعلام بأشكالها كافة؛ حيث أن خصائص التفاعلية والحالية ولا محدودية المساحة، مكنت الفرد من المشاركة في النشر الإلكتروني. ولا تنحصر أهمية الأنترنت في مجال تبادل المعلومات وتداولها، فهي اليوم تؤدي أدواراً سياسية واقتصادية وثقافية واجتماعية غاية في الأهمية، فعلى المستوى الاجتماعي تساهم الأنترنت في تطوير الوضع الاجتماعي، وتجاوز النماذج الجاهزة والقوالب الجامدة بشكل تدريجي في العلاقات الاجتماعية دون أن يؤدي ذلك إلى اهتزاز البنية الاجتماعية أو إحداث شروخ فيها.

لقد أثبتت شبكة الأنترنت أنها أداة حيوية وفاعلة في الحملات الانتخابية وفي مجال التسويق السياسي، وظهر هذا جلياً في الحملات الانتخابية للمرشحين لخوض الانتخابات الرئاسية الأمريكية الأخيرة (2008) بشكل أكثر فعالية وتأثيراً وعمقاً مقارنة بالانتخابات الرئاسية الأمريكية لعام 2004، مع تنامي أدوات جديدة قدمتها شبكة الويب Web 2.0 ومواقع الشبكات الاجتماعية مثل Facebook و Myspace و You-tube علاوة على البريد الإلكتروني والمدونات. ولا شك أن الرئيس الأمريكي الحالي باراك أوباما قد وصل إلى البيت الأبيض من خلال الاستخدام الفعال غير المسبوق لهذه الأدوات الاتصالية الجديدة⁽¹⁾.

وإذا وضعنا في الاعتبار طبيعة البنية التشريعية والإعلامية والمعلوماتية لبعض المجتمعات وما تعانيه من نقص في الحريات الأساسية وخاصة حرية الرأي والتعبير والتواصل، يمكن أن ندرك أهمية الأدوات الاتصالية سالفة الذكر للمستخدمين في هذه المجتمعات، وخاصة صغار السن منهم نظراً لما يعانونه من سلطة أبوية مع ضعف التنظيمات السياسية والاجتماعية القادرة على احتواء طاقاتهم وقدراتهم، وفي الوقت نفسه معاصرتهم للانفتاح الإعلامي عبر مختلف الوسائل والقنوات⁽²⁾، مما أدى إلى زيادة الإقبال على هذه المواقع، خاصة في ضوء ما تعرضه من فرص بديلة للتواصل والاتصال مع الآخرين سواء في بلد بعينه أو على مستوى العالم.

وهكذا، طرحت تكنولوجيات الاتصال والمعلومات مفاهيم ومداخل جديدة لم تكن موجودة سلفاً لعل أهمها أننا نعيش عصر «ديمقراطية الأنترنت» من خلال تقديم

التحولات التكنولوجية وأثرها على التغيير
الشبكات الاجتماعية على الإنترنت

إمكانات وقدرات جديدة للجمهور تساعد في إنتاج واكتساب المعلومات وتداولها، وتسجيل الآراء، علاوة على المشاركة المباشرة في صنع «السياسة العامة»، وهو ما دفع عديداً من المنظمات والأفراد إلى تبني هذا البديل الجديد من وسائل الاتصال في عملية نشر المعلومات وتداولها في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية كافة، وهي العملية التي أدت بلا جدال إلى كشف قصور وسائل الإعلام التقليدية.

من هذا المنطلق تطرح الكاتبة التساؤلات التالية:

1. ما هو مفهوم وفلسفة الإعلام الجديد، كشكل من أشكال التغيير؟
2. ما هو تعريف مواقع التواصل الاجتماعي وبعدها الإعلامي، بكونها أحد تطبيقات الإعلام الجديد؟
3. ما هي حدود وتحديات حرية الإعلام، في ظل إشكالية تلاشي دور حارس البوابة وظهور الصحافة الإلكترونية؟

مفهوم وفلسفة الإعلام الجديد، كشكل من أشكال التغيير

تعريف الإعلام الجديد

يُعبّر الإعلام الجديد new media عن البيئة الإعلامية الجديدة التي تدمج بين الإعلام التقليدي كالكتب والتلفزيون والراديو من جهة، والإعلام الرقمي من جهة أخرى، خاصة الإعلام التفاعلي والإعلام الاجتماعي عبر مواقع التواصل.

إنه إعلام عصر المعلومات، فقد كان وليداً لتزاوج ظاهرتين بارزتين عرف بهما هذا العصر ظاهرة «تفجر المعلومات» وظاهرة «الاتصالات عن بعد». والإعلام الجديد يعتمد على استخدام الكمبيوتر والاتصالات عن بعد في إنتاج المعلومة وتخزينها وتوزيعها والتسليم، وهي عملية توفير مصادر المعلومات والتسليم لعموم الناس بشكل ميسر وبأسعار منخفضة وهي في الواقع خاصية مشتركة بين الإعلام القديم والجديد، والفرق هو أن الإعلام الجديد قادر على إضافة خاصية جديدة لا يوفرها الإعلام القديم وهي التفاعل. هذه الخاصية أضافت بعداً جديداً مهماً إلى أنماط وسائل الإعلام الجماهيري الحالية التي تتكون في العادة من منتجات ذات اتجاه واحد يتم إصدارها من مصدر مركزي مثل الصحيفة أو قناة التلفاز أو الراديو إلى المستهلك مع إمكانية اختيار مصادر المعلومات والتسليم متى أرادها وبالشكل الذي يريده⁽³⁾.

الملمح الأول الذي ينبغي الإشارة إليه، هو ذلك التحول في العلاقة بين الجمهور ووسائل الإعلام، من إعلام الجماهير إلى ما يمكن أن نطلق عليه جماهير الإعلام أو ما يسميه محترفو الإعلام اليوم «بإعلام النحن» الذي يبدأ من قاعدة الشبكة الاجتماعية وينحوا قدما نحو القمة، مما ينذر بانتهاء ما كان يعرف إعلاميا بحارس البوابة Gate Keeper ، فالإعلام الجديد (New media) أو إعلام المجتمع Social media، أو إعلام المواطن (media citizen) مصطلحات تشير إلى مجموع النشاطات التي تدمج بيت التكنولوجيا الحديثة، التفاعل الاجتماعي، صناعة المحتوى، والتي تستخدم الذكاء الجماعي في جو من التعاون على الشبكة، حيث يقوم المستخدمون بصناعة محتويات الويب وتنظيمها وفهرستها وتعديلها والتعليق عليها، أو دمجها مع إبداعاتهم الخاصة. ويقوم الإعلام الجديد حاليا على مجموعة من التطبيقات الرئيسة وهي : الوسائط أو الشبكات الاجتماعية: The Social Network الصورة الأبرز لتقنيات الإعلام الجديد، وتتمثل أهم الشبكات الاجتماعية في المدونات والمنديات بجانب مواقع عديدة مثل الويكي Wiki والفيس بوك Facebook وتويتر Twitter والتطبيقات التي قدمتها الشركات الكبرى لدعم الفكر الاجتماعي في التفكير والمشاركة، وكذلك مواقع أجاكس Ajax في مجالات التطبيقات المكتبية التي تتم بشكل تعاوني. وأيضا مواقع التفاعل الاجتماعي مثل ماي سبايس Myspace ومواقع خدمات وتخزين الصور وإعادة عرضها وإرسالها للغير مثل فليكر Flickr، ونشر مقاطع الفيديو مثل اليوتيوب Youtube، وغيرها من الخدمات والتقنيات التي تجد اهتماما فرديا مع تبادل المشاركة والنشر بين المستخدمين⁽⁴⁾.

فلسفة الإعلام الجديد

إن وسائل الإعلام التقليدية التي عاشت لسنين على وقع الاحتكار والتنافس بين مختلف القوى والنخب السياسية والثقافية، لأهميتها في صناعة الرأي العام والتأثير في مجريات الأحداث، تجد نفسها اليوم مجبرة على التخلي عن تقليديتها لصالح نمط جديد أكثر ديمقراطية وجماهيرية في عملية الاتصال، فيه المتلقي يرسل ويستقبل ويتفاعل ويعقب ويستفسر ويعلق بكل حرية وجرأة.

إن صيرورة « الإعلام الجديد » لم تسهل فقط عملية الوصول إلى المعلومات والأخبار والبيانات، بل أتاح أيضا الفرصة للمستخدم لإنتاج المضامين والرسائل والبيانات من خلال أشكال تعبيرية مختلفة -المدونات، وفضاءات الدردشة، ومنتديات

التحولات التكنولوجية وأثرها على التغيير
الشبكات الاجتماعية على الأنترنت

الحوار- تحول معها من «متلق ساكن تقليدي» إلى «متلق نشط» و «فعال» في العملية التواصلية، ما أدى إلى ظهور مصطلحات جديدة من قبيل الديمقراطية الإلكترونية، وصحافة المواطن (citizen journalism)، والإعلام الشعبي (society media)، وأخرى تحولت معها الشبكات الاجتماعية إلى وسائل للإعلام البديل.

لقد أدى الانتشار الواسع للفضاءات الافتراضية إلى خلق مجال جديد لممارسة الديمقراطية وهي «ديمقراطية الأنترنت» التي لم تكن موجودة في الأنترنت «القديم»، فإنتاج المضامين لم يعد حكرا على أصحاب رؤوس الأموال، بل أصبح متاحا للمستخدم العادي بفضل تكنولوجيا الويب وما وفرتة من نماذج معدة وجاهزة بشكل مسبق تقنيا للاستعمال الجماهيري، غاية في البساطة والسهولة واليسر فليس للمستخدم أو «المواطن الجديد» حاجة لمعرفة معمقة في البرمجيات أو علم الحواسيب حتى يتمكن من نشر أفكاره، والتعبير عن رأيه وبكل حرية وسهولة ولنقل لينعم بالممارسة الديمقراطية .

وليس المقصود هنا الديمقراطية الالكترونية -الافتراضية- كما يعتقد البعض ويتحدث عن إمكانية التصويت عن بعد وعبر شبكة الأنترنت، بل المقصود الحديث عن فضاء للتواصل الحر الثقافي والاجتماعي والسياسي والديني التفاعلي، الذي يمكن التمثيلات الاجتماعية ويدفعها نحو مزيد من فعالية التواصل الأفقي، حيث الجميع نحو الجميع، وبهذا يمكن الإقرار أن فلسفة الإعلام الجديد نجحت في زحزحة سقف التعبير الضيق الذي وضعته مؤسسات النظم وثقافة المجتمع التقليدية، وأبدعت نوعا من الليبرالية التضامنية التي يقف أصحابها في تماسك وتلاحم قوي ضد الممارسات التي تعمل على تقييد حقوق المواطن وحرياته الأساسية، لهذا شكلت الفضاءات الافتراضية عنصرا مهما ومتناغما لتسريع عملية الانتقال الديمقراطي (على المستوى السياسي، الثقافي، الاجتماعي، العلمي، الديني..) في عديد المجتمعات والثقافات المترددة ديمقراطيا، وذلك بما وفرتة من فرص المساواة والاستقلالية باعتبارها مبادئ مؤسسة للمجتمع الديمقراطي، وترسيخ قيم المواطنة والمشاركة رغم الاختلاف الاجتماعي والثقافي.

وفي سياق التحولات التي مهدنا إليها يشهد الفكر الاتصالي المعاصر نقاشا وتحليلا جدليا حادا -في أدبياته- حول الدور الوظيفي والاستراتيجي الذي أضحي يؤديه الاتصال- الجديد- في تجسيد الطموحات، والمشاريع الحضارية من جهة، وقدرة الإطلاقات النظرية الحديثة -يقصد بها عملية التقعيد والتنظير- على استيعاب وتأطير كل هذا الكم من الممارسات الاتصالية النوعية ومستقبلها، وفي هذا تشير «جوديث لازار» (Lazar Judith)

أنه في ضوء اكتشاف نظم الاتصال ذات التأثير المتبادل يصبح من الضروري إعادة النظر في جميع النماذج والأساليب النظرية القديمة⁽⁵⁾، لذا نجد في ذات السياق طروحات الفلسفة النقدية المعاصرة وخاصة افتراضات «هابر ماس» في تناوله مجال التواصل من الفضاء العام وكيفية تشكّل الرأي العام، حيث يرى أنّ الفضاء العام قد كان مجالاً أو ميداناً للتعبير عن الرأي الفكري والنقدي، ثم جاءت وسائل الإعلام لاحتله وتشوّهه، وتسيطر على مضمونه جاعلة منه دعامّة للإيديولوجيا والمصالح. فبات من الضروري، مع تحوّل العلم والإيديولوجيا إلى أدوات للهيمنة، مساءلة الفضاء العام والتفكير من جديد في التواصل، وذلك من خلال تأسيس نظرية اجتماعية وثقافية في التواصل تسمح بالشروع في تفكير عقلي ونقديّ جديد ومستقلّ في قضايا عصرنا.

تعريف مواقع التواصل الاجتماعي وبعدها الإعلامي بكونها أحد تطبيقات الإعلام الجديد

تعريف الشبكات الاجتماعية على الأنترنت Online Social Networks

إنها من أهم المفاهيم المستحدثة ضمن مفهوم الإعلام الجديد والمرتبطة بالمجتمع الافتراضي، وربما من أهم وسائله وتقنياته، يزداد عدد مستخدميها يوماً بعد يوم، حتى أصبحت تضاهي الصين والهند من حيث عدد المستخدمين مقارنة بعدد السكان، وكثر توظيفها في مجالات متعددة ذات قيم متفاوتة ومتغيرة من مجتمع إلى آخر، فالمبدأ الذي يوقّره الجيل الجديد من الويب Web 2.0 هو مشاركة المستخدمين في محتويات المواقع، لذا «أصبحت الشبكات الاجتماعية على الأنترنت ظاهرة عالمية واسعة الانتشار بصورة لا تصدق! فمواقع مثل: ماي سبيس MySpace وفيسبوك Fa-cebook وهاي فايف hi5 وأوركوت Orkut وفريندستر Friendster، يعدّ أعضاؤها الآن بمئات الملايين في جميع أنحاء العالم.

سميت «اجتماعية» لأنها أتت من مفهوم «بناء مجتمعات»، بهذه الطريقة يستطيع المستخدم التعرف على أشخاص لديهم اهتمامات مشتركة أثناء تصفح الأنترنت والتعرف على المزيد من المواقع في المجالات التي تهتمّ، وأخيراً مشاركة هذه المواقع مع أصدقائه وأصدقاء أصدقائه. هذه الشبكات ظهرت قبل انطلاق تطبيقات الويب 2 ولكنها نُسبت في تقنياتها إلى شبكة الويب 2، لما لها من نفس الإمكانيات والتطبيقات.

وتعرفها «دانا بويد» BOYD Danah، على أنها: «مصطلح يطلق على مجموعة من المواقع على شبكة الأنترنت، ظهرت مع الجيل الثاني للويب، أو ما يعرف باسم ويب 2.0، تتيح التواصل بين الأفراد في بيئة مجتمع افتراضي يجمعهم حسب مجموعات اهتمامات مشتركة أو شبكات انتماء (بلد، جامعة، مدرسة، شركة...إلخ)، كل هذا يتم عن طريق خدمات التواصل المباشر مثل إرسال الرسائل أو الاطلاع على الملفات الشخصية للآخرين ومعرفة أخبارهم ومعلوماتهم التي يتيحونها للعرض، وتعتمد هذه الشبكات بالدرجة الأولى على مستخدميها في تشغيلها وتغذية محتواها، كما تتنوع أشكال وأهداف تلك الشبكات الاجتماعية، فبعضها عام يهدف إلى التواصل العام وتكوين الصداقات حول العالم، وبعضها الآخر يهدف إلى تكوين صداقات في نطاق محدود ومنحصر في مجال معين⁽⁶⁾.

ومن خصائص «الشبكات الاجتماعية على الأنترنت»، نذكر

- **المشاركة Participation:** فهو إعلام يتيح إمكانية وضع تعليقات على المواقع الإخبارية وبعث إيميلات وتويترات في البرامج التلفازية والإخبارية، ما يمكن من صناعة الأحداث ببعث الصور والأفلام الحية عبر الموبايل أو مواقع التواصل الاجتماعي لمختلف القنوات العالمية؛
- **الانفتاح Openness:** بالمشاركة الحرة في إدلاء الرأي والتعليق عبر مختلف قنوات الإعلام الجديد ومختلف المواقع الإلكترونية، دون إذن حكومي و أي تصريح؛
- **المحادثة Conversation:** حيث انتقل المشاهد التقليدي من دور المتلقي إلى المتحدث والمشارك في الحوار الإعلامي؛
- **المجتمع Community:** تمكن تطبيقات الإعلام الجديد من تكوين مجتمعات إلكترونية ذات اهتمامات مشتركة وهي سمة الإعلام الاجتماعي؛
- **التفاعلية Interactivity:** وهي الجامعة لكل هذه الخصائص، ما لم يكن متاحا سابقا، وهي كلها مزايا يتيحها الإعلام الجديد، تكريسا لحرية التعبير.

بعض الأرقام والإحصاءات

تشير الإحصاءات في 2012، إلى أن واحدا من بين سبعة أشخاص من إجمالي سكان العالم يستخدم مواقع التواصل الاجتماعي، ومنذ إطلاق موقع الفاييس بوك الشهير عام 2004

حظيت مشاركات المستخدمين والصفحات بأكثر من 1.13 تريليون «إعجاب» وشهد أكثر من 140 مليار صداقة، وتم تحميل 219 مليار صورة⁽⁷⁾. أما بالنسبة إلى استخدام موقع تويتر، فقد خلص تقرير الإعلام الاجتماعي العربي في يوليو 2012، إلى وجود نحو 2.1 مليون مستخدم نشط لموقع تويتر في العالم العربي. وقد بلغ عدد التغريدات من العالم العربي نحو 172.5 مليون تغريدة في شهر مارس 2012 فقط، ما يجعل المتوسط اليومي للتغريدات 5.75 مليون تغريدة، أو ما يعادل 3993 تغريدة كل دقيقة، أي نحو 67 تغريدة كل ثانية⁽⁸⁾.

وصل عدد المشاركين في الفيس بوك إلى مليار مشترك، وهذا الرقم يمثل عدد حسابات المشاركين، وبلغ عدد الناشطين فيه 650 مليون ناشط في الثلث الأخير من 2012، ووصل عدد حسابات المشاركين عبر «التويتر» 517 مليون حساب منهم 200 مليون ناشط، كما ارتفع عدد أعضاء LinkedIn من 90 مليون، سنة 2011 إلى 200 مليون سنة 2013، و Viadeo من 35 مليون عضو سنة 2011 إلى 50 مليون عضو في 2013. بناءً على إحصائيات المستخدمين لمواقع التواصل الاجتماعي في يناير 2013، بلغ عدد مستخدمي تويتر بنحو 982 مليون مستخدم، ثم «غوغل بلس» بنحو 340 مليون مستخدم، ثم «لينكدإن» الذي بلغ عدد مستخدميه 310 ملايين، وأخيراً «بنترست» بنحو 23.4 مليون مستخدم. علماً بأن الفيس بوك احتل المرتبة الأولى⁽⁹⁾. أما من حيث متوسط الوقت الذي يقضيه المستخدم خلال الشهر الواحد على المواقع المذكورة، فقد جاء موقع «الفيس بوك» في المركز الأول بنحو 610 دقائق شهرياً، يليه موقع «بنترست» بمتوسط 134 دقيقة، فتويتر (32 دقيقة)، ثم «لينكدإن» (25 دقيقة)، وأخيراً غوغل بلس (5 دقائق). أما بالنسبة إلى موقع «يوتيوب» فنجد أن أكثر من 800 مليون مستخدم يدخلون كل شهر، حيث تتم مشاهدة 4 مليارات فيديو كل شهر، ويتم تحميل 72 ساعة فيديو على اليوتيوب كل دقيقة، ونحو 70 % من استخدامات «اليوتيوب» تأتي خارج الولايات المتحدة⁽¹⁰⁾.

تشير الإحصاءات الخاصة بعدد مستخدمي موقع التواصل الاجتماعي الفيس بوك في العالم العربي، أنه في فبراير 2013 جاء المستخدمون في مصر بالمرتبة الأولى بنحو 12.5 مليون مستخدم، أي ما يزيد على ربع المستخدمين في العالم العربي كله. تلاهم المستخدمون من المملكة العربية السعودية المقدر عددهم بنحو 5.7 مليون، ثم المغرب (5.2 مليون)، فالجزائر (4.3 مليون)، فتونس ودولة الإمارات العربية المتحدة (نحو 3.4 مليون) لكل منهما⁽¹¹⁾.

هذا، ويشير التقرير الذي قامت به مؤسسة «We Are Social» إلى أن المنصات والشبكات الاجتماعية حققت معدلات نمو كبيرة من حيث نسبة الاستخدام، حيث تمكنت أعلى تلك الشبكات من إضافة أكثر من 135 مليون مستخدم جديد خلال العام 2013، علما بأن المناطق التي تستحوذ على أكبر نسب مستخدمي الأنترنت هي نفسها التي تمتلك أعلى نسب انتشار لمستخدمي الشبكات الاجتماعية النشطين.

حول نسبة اختراق الشبكات الاجتماعية على الأنترنت في العالم بداية جانفي 2014، تأتي منطقة أمريكا الشمالية في المرتبة الأولى بنسبة 56 % تليها أوروبا الغربية بـ 44 %، بينما تحتل منطقة الشرق الأوسط المركز التاسع بـ 24 %، و تأتي في المراتب الأخيرة إفريقيا 7 % و جنوب آسيا 5 %.

وحسب إحصاءات موقع «We Are Social Singapore» الشهير، تشير الإحصاءات إلى أنه في جانفي 2015 و من بين 3.025 مليار أنترنتي على مستوى العالم، يوجد 2.060 مليار مستخدم نشط على الشبكات الاجتماعية على الأنترنت، وهو ما يعادل 68 % من الأنترنتيين و 28 % من سكان العالم⁽¹²⁾.

الشبكات الاجتماعية على الأنترنت و «إعلام النحن»

تعتبر الشبكات الاجتماعية شكلا من الأشكال الرئيسية لتطبيقات الإعلام الجديد، وهو ذلك التحول في العلاقة بين الجمهور ووسائل الإعلام، من إعلام الجماهير إلى ما يمكن أن نطلق عليه جماهير الإعلام أو ما يسميه محترفو الإعلام اليوم «بإعلام النحن» الذي يبدأ من قاعدة الشبكة الاجتماعية وينحوا قدما نحو القمة، مما ينذر بانتهاء ما كان يعرف إعلاميا بحارس البوابة Gate Keeper، فالإعلام الجديد (New media) أو إعلام المجتمع (Social media)، أو إعلام المواطن (media citizen) مصطلحات تشير إلى مجموع النشاطات التي تدمج بيت التكنولوجيا الحديثة، التفاعل الاجتماعي، صناعة المحتوى، والتي تستخدم الذكاء الجماعي في جو من التعاون على الشبكة، حيث يقوم المستخدمون بصناعة محتويات الويب وتنظيمها وفهرستها وتعديلها والتعليق عليها، أو دمجها مع إبداعاتهم الخاصة. ويقوم الإعلام الجديد حاليا على مجموعة من التطبيقات الرئيسة وهي: الوسائط أو الشبكات الاجتماعية: The Social Network الصورة الأبرز لتقنيات الإعلام الجديد، وتتمثل أهم الشبكات الاجتماعية في المدونات والمنديات بجانب مواقع عديدة مثل الويكي Wiki والفيس بوك Facebook وتويتر

Twitter والتطبيقات التي قدمتها الشركات الكبرى لدعم الفكر الاجتماعي في التفكير والمشاركة ، وكذلك مواقع أجاكس Ajax في مجالات التطبيقات المكتبية التي تتم بشكل تعاوني. وأيضا مواقع التفاعل الاجتماعي مثل ماي سبايس Myspace ومواقع خدمات وتخزين الصور وإعادة عرضها وإرسالها للغير مثل فليكر Flickr، ونشر مقاطع الفيديو مثل اليوتيوب Youtube، وغيرها من الخدمات والتقنيات التي تجتهد اهتماما فرديا مع تبادل المشاركة والنشر بين المستخدمين⁽¹³⁾.

دراسة ميدانية جزائرية تؤكد دور مواقع التواصل الاجتماعي في تكريس حرية الصحافة والتعبير

في دراسة وصفية اعتمدت فيها الكاتبة على التوزيع الشخصي للاستمرارية الاستبائية، على عينة مكونة من 150 صحفي جزائري (من مختلف المؤسسات الجزائرية)، سعت من خلالها كشف الدور الذي لعبته شبكات التواصل الاجتماعي في عملية التغيير السياسي والاجتماعي وتدعيم حرية التعبير في المنطقة العربية، توصلت فيها إلى جملة من النتائج وهي كالآتي:

- أكثر من نصف المبحوثين يرون أن شبكات التواصل الاجتماعي تغلبت على سياسة الإعلام الحكومي في مقاومة الرقابة و حجب المعلومات؛
- أكدت العينة المبحوثة أن سبب تفوق شبكات التواصل الاجتماعي على وسائل الإعلام التقليدي يعود بالدرجة الأولى إلى سرعة نقل الأحداث فور وقوعها، ولتوفرها على عنصر التفاعلية من جهة أخرى، ما يمنحها القدرة على إيصال صوتها وصورتها إلى العالم وبشكل متواصل، حيث برز بحدة دور «إعلام المواطن» متحديا التعقيم الإعلامي الرسمي وذلك من خلال اعتماد وسائل الاتصال الحديثة كالرسائل النصية على الهاتف المحمول والمدونات الإلكترونية والشبكات الاجتماعية الجديدة، ما شهدناه في ما يعرف «بالربيع العربي»؛

كما وصف المبحوثون الشبكات الاجتماعية، بكونها أحد تطبيقات الإعلام الجديد، على أنها:

- مجال أكبر للإطلاع: ففي الجلسة الواحدة يمكن الاطلاع على العشرات من المصادر الإعلامية دون أي تكلفة تذكر؛

التحولات التكنولوجية وأثرها على التغيير
الشبكات الاجتماعية على الأنترنت

- تمنح حرية واسعة: بالانتقاء والمقارنة بين العديد من المصادر المختلفة الرؤى والخلفيات؛
 - إعلام غير محدود بالمكان والزمان: بث الأخبار والمعلومات العاجلة أولاً بأول؛
- وهي كلها نتائج تؤكد أن الشبكات الاجتماعية منتدى مفتوح وفضاء للتعبير الحر، وصناعة الإعلام الحر الجديد.

حدود وتحديات حرية الإعلام، في ظل إشكالية تلاشي دور حارس البوابة وظهور الصحافة الإلكترونية

الصحافة الإلكترونية

الحديث عن التحولات التكنولوجية وأثرها على الصحافة، يؤدي بنا لا محال إلى التركيز على متغير جديد تعرفه بلداننا ألا وهو «الصحافة الإلكترونية» و «الصحافة الاجتماعية»، الأولى التي تعبر عن تنبه الصحف والمجلات التقليدية الرسمية منها والخاصة وحتى المحطات الإخبارية، إلى أهمية الحضور في الفضاء الرقمي مع بداية عقد التسعينات من القرن الماضي، حتى صارت لكل جريدة أو مجلة أو قناة إخبارية موقعا موازيا لإعلامها التقليدي، بل تطور الأمر لظهور صحف رقمية كليا.

والثانية الصحافة الاجتماعية Social Media وهي جزء لا يتجزأ من الصحافة الإلكترونية، بدمج التكنولوجيا الحديثة، بين التفاعل الاجتماعي وصناعة المحتوى، وهي متحررة عن أي سلطة، وقد دعمت من حرية التعبير عبر نقل المعلومات والأحداث في زمنها الحقيقي، بعيداً عن مراقبة وضغط السلطة.

وسندعم ما سبق قوله ببعض من الأمثلة:

- أصبح التعبير عن «رأي الشعب» عبر المدونات، بل أصبح المتلقي أو المشاهد، صانعا للخبر؛
- تعزيز وظائف الإعلام الديمقراطية في المجتمعات وهو ما ساعد في توسيع دائرة مسؤولية الفرد في صناعة القرارات الوطنية؛
- مساهمات المشاركين في البرامج الإخبارية عبر السكايب؛

- استخدام قنوات الأخبار للآلاف من الأفلام المسجلة بالهواتف والمثبتة عبر اليوتيوب، والقادمة خاصة من المناطق التي منع فيها التصوير؛
- أهمية مواقع الويكي: التي تكشف الحقائق والتصريحات السرية.

حدود وتحديات حرية الإعلام ... التأطير القانوني للإنترنت في الجزائر نموذجا

حدود وتحديات حرية الإعلام

لقد قطعت وسائل الإعلام الاجتماعية أشواطاً كبيرة في مجال تعبئة الشعوب ودفعها للمشاركة في الحياة العامة والسياسية تحديداً، فرغم اختلاف الجميع حول الأسباب الكامنة وراء «ربيع الديمقراطية في العالم العربي» كما يحلو للبعض تسميتها، لكنهم جميعاً متفقين على الدور البارز الذي لعبته الإنترنت وشبكات التواصل الاجتماعي في انطلاقة تلك الثورات ودورها في تسريع وتيرتها ونجاحها. إن الشبكة العنكبوتية وشبكتها الاجتماعية قدمت مجموعة من الفرص والإمكانيات للشباب في الدول العربية لم يتمكن أي حزب أو فكر أو تنظيم تقديمه لهم⁽¹⁴⁾.

ومن وجهة نظر البروفيسور «محمد لعقاب»، فإن العالم اليوم أمام ظاهرتين: الأولى سياسية تعكسها الاحتجاجات التي تعبر عن احتقان شعبي وغضب جماهيري من الأنظمة العربية وهي ظاهرة قديمة في تحليله، أما الظاهرة الثانية فهي إعلامية وهي جديدة وتتعلق بتدخل شبكة الإنترنت لنشر كل ما كان نشره ممنوعاً في الماضي من خلال المحتوى الذي يقدمه مستخدمو هذه المواقع وشبكات التواصل الاجتماعي والتي جعلت من الشباب مستعمل هذه الفضاءات صحفيين من دون بطاقات مهنية، مؤكداً أن تكنولوجيا المعلومات أصبحت لاعباً سياسياً محورياً والجيل الجديد هو جيل رقمي والمواطن الحديث هو مواطن شبكي، والمواطنون الإلكترونيون أصبحوا عالمين يتعاطفون مع بعضهم البعض⁽¹⁵⁾.

وبعدما كان لحارس البوابة سلطة اتخاذ القرارات فيما سيمر من خلال بوابته الإعلامية وكيف سيمر، حتى يصل في النهاية إلى الوسيلة الإعلامية ومنها إلى الجمهور المستهدف، وبعد ما كان المتلقي سلبياً في زمن وسائل الإعلام التقليدية وبعيدا عن العملية الإعلامية ودوره تلقي الرسائل والمضامين فقط، أصبحت مشاركة المتلقي ميسرة، ففي

التحولات التكنولوجية وأثرها على التغيير
الشبكات الاجتماعية على الأنترنت

ظل وسائل ووسائط الإعلام الجديد صار من غير الممكن التحكم في محتوى ومضمون الرسائل الإعلامية ومن الصعب فرض الرقابة عليها .

التأثير القانوني للإعلام الجديد في الجزائر

يشير الاستخدام المتزايد والمتسارع لمواقع الشبكات الاجتماعية في مناطق العالم المختلفة تساؤلات حول مدى تأثير استخدام هذه المواقع على المعايير Norms Practices والممارسات للحرفية المهنية في مجال الاتصال والإعلام Professional Communication. لذا، فقد أجريت عديد من البحوث في هذا السبيل يناقش بعضها حقوق الخصوصية Privacy Rights الذي يمكن أن يتمتع بها مستخدمو هذه المواقع، ومدى تطور الإطار التشريعي التي يمكن تفسير هذه القضية من خلاله، وركزت أبحاث أخرى على الفوائد التي يجنيها المستخدمون لبعض المواقع المهتمة بمجال المال والأعمال Business-Oriented SNWS، وتتناول أبحاث أخرى سلوكيات مستخدمي هذه الشبكات أثناء وجودهم عليها، بما في ذلك تأثيرات هذه السلوكيات على بيئة العمل⁽¹⁶⁾.

كما تثار قضية التأطير القانوني للأنترنت اليوم أكثر، لطبيعته كوسيط أصبح بإمكان الأشخاص من مختلف أنحاء العالم الاطلاع على ملايين صفحات الويب، مما يخلق تداعيات على حرية الرأي والتعبير وعلى التشريع الوطني للإعلام.

وبالنسبة للجزائر فإننا نجد أن الباب الخامس لقانون الإعلام الجديد 2012، قد جاء تحت عنوان «وسائل الإعلام الإلكترونية»، ضمن المواد (67-72)، وهذه بعض من مواده:

- **المادة 67:** يقصد بالصحافة الإلكترونية في مفهوم هذا القانون العضوي، أي خدمة اتصال مكتوب عبر الأنترنت موجهة للجمهور أو فئة منه، وينشر بصفة مهنية من قبل شخص طبيعي أو معنوي يخضع للقانون الجزائري، ويتحكم في محتواها الافتتاحي.
- **المادة 68:** تطرقت لتنظيم نشاط الصحافة المكتوبة عبر الأنترنت.
- **المادة 69:** نصت على خدمة السمعي البصري -واب -تلفزيون-واب-إذاعة.
- **المادة 71:** يمارس نشاط الصحافة الإلكترونية والنشاط السمعي البصري عبر الأنترنت في ظل احترام أحكام القانون⁽¹⁷⁾.

وما يلاحظ على التنظيم القانوني الجزائري بشأن الإعلام الجديد والإلكتروني أنه يبقى يشهد عدم كفاية المؤسسات القائمة على مراقبة الجرائم الإلكترونية وتطبيق العقوبات والقوانين المتعلقة بها.

عن إشكالية العلاقة بين الإعلام التقليدي والإلكتروني: فهناك من يرى أن هناك تدهور مبيعات الصحف والمجلات التقليدية وأرباح القنوات التلفزيونية والراديو، واتجاه آخر يرى أن صناعة الإعلام التقليدي باقية وهي المسيطرة خاصة في دول العالم النامي أما النظرة الثالثة فتري استمرار المنهجين، تكريسا لحرية الإعلام والصحافة بنوعيتها التقليدي والإلكتروني وهذا ببقاء صدور المجلات بطابعها الورقي لمن يرغب بها، وبقاء بث البرامج عبر القنوات التلفزيونية والإذاعية، مع وجود قنوات موازية إلكترونية تدعم النشر الرقمي للأخبار، في ظل استمرار ابتكارات تطبيقات التواصل الاجتماعي.

توصيات

إن بناء المساحات الافتراضية Architecture of Virtual Spaces يشبه كثيراً بناء المساحات المادية الحقيقية Physical Spaces، وهو ما يوحي على الفور ويمكن أيضاً من خلق مناخ للتفاعل. وقد ارتبط بناء المساحات على شبكة الإنترنت بمجموعة من السلوكيات يمكن النظر إليها على أنها قامت بتحرير التعبير Liberating Expression من الأغلال التي كانت تقيدته، وذلك عن طريق المجهولية Anonymity التي يمكن من خلالها عدم الإفصاح عن الهوية الحقيقية للفرد، أو محاكاة الحياة الحقيقية Real Life في البيئة الافتراضية Virtual Environment، لذا بات اليوم أكيدا أن الشبكات الاجتماعية على الأنترنت قد خلخلت بقوة طبيعة الإعلام وأدوات ومبادئ اشتغاله، التي انبنى عليها لعقود عديدة انصرفت، وترى الباحثة ضرورة:

- تدعيم وتشجيع مشروع منح «بطاقة الصحفي المحترف» في الجزائر، لحمايته وتسهيل عملية الوصول إلى مصادر المعلومات، والنظر إلى الصحفي على أنه ناقل للمعلومة موضوعية وليس كعدو أو منافس للسلطة، بعيدا عن الاكراهات؛
- عمل الدولة على شراء الصحف وتوزيعها مجانا بدل التدعيم العمومي لها، لتكون قراءة الصحف المطبوعة عادة يومية لكل فرد في المجتمع؛

التحولات التكنولوجية وأثرها على التغيير
الشبكات الاجتماعية على الإنترنت

- حمل قيم الصحافة للفضاء الافتراضي، كليا أو جزئيا، بسلك الطريق الذي سلكته الصحافة المكتوبة، وعممته على الإذاعة والتلفزة، بالحفاظ على التعددية، مع التركيز على نوعية المعلومات بالشبكات الرقمية، مع أخذ الصحفي المعلومة والبحث عن المصدر الحقيقي والتأكد منه، فالمعلومات الواردة على المواقع الاجتماعية تغلب عليها الانطباعية والعاطفة والانفعال وكذلك الذاتية والنسبية؛
- الانتباه «لصحفيين المواطنين الناشطين» في إطار الويب 2.0، ومواقع دايلي موشن ويوتيوب... إلخ، الذين يلعبون دورا نشطا في عملية جمع وبث وتحليل ونشر الأخبار، خاصة إذا علمنا أن العديد من الدراسات الاستشرافية تؤكد بأن مستقبل الإعلام والإعلاميين، إنما يتحدد على محراب الشبكات الاجتماعية على الأنترنت، لذا وجب النظر إليها بجدية، مادامت كانت أسبابا مباشرة لإطاحة أنظمة بأكملها، وتخليص المعلومة من احتكار وسائل الإعلام التقليدية، ومن هيمنة المجموعات الإعلامية، التي كانت تسيطر على السوق؛
- القيام بدراسات ميدانية تكشف بعض النقاط التي قد تكون حلولا للخروج من سلطة المقاولين ورجال الأعمال، تحقيقا للشفافية، وتكريسا للحرية ضمن تدعيم أخلاقيات المهنة الصحفية، وحمل هذه الأخيرة للعمل الإعلامي الافتراضي.
- تكثيف الأجيال الجديدة جهودها للعمل «كقوة اقتراحية إيجابية»، مادام أن الأرضية موجودة قام بإرسالها العديد ممن ضحوا بأنفسهم.

الخاتمة

يقول بيل جيتس، مؤسس شركة مايكروسوفت، في حديث له في 2009/2/5
«منطقتين دائمتي التغيير...تكنولوجيا المعلومات والتكنولوجيا الطبية، تلك هي الأشياء التي بسببها سيكون العالم مختلفا جدا، 20 سنة من الآن مما عليه اليوم».

وترى الكاتبة بدورها: «أنه مادامت تكنولوجيا المعلومات دائمة التغير، ومادامت حرية الصحافة تعمل ضمن هذه التكنولوجيا، في خضم التحديات السياسية والاقتصادية لبلداننا، فهي ستكون مختلفة جدا مما هي عليها الآن في السنوات المقبلة، مع كثير من الأمل، مما نحن عليه اليوم».

وتبقى ضرورة تطوير المناهج التربوية لكليات الإعلام والاتصال الجماهيري كي تشمل وسائل التواصل الاجتماعي، ولا تكتفي بمناقشتها كمنافس للإعلام التقليدي، أو التعامل معها باعتبارها ظاهرة اتصالية ذات تأثيرات عابرة، كما أن هذه الوسائل التي تزداد وينتشر نفوذها يوما بعد آخر، باتت تستحق تسليط الضوء عليها بحثيا وخصوصا في الجوانب القانونية والتشريعية، لتحديد المسؤوليات المترتبة على سوء استخدامها وضمان حماية القيم الأخلاقية والأعراف المجتمعية من الانتهاكات المتزايدة من جانب شريحة من مستخدمي هذه الوسائل الحديثة⁽¹⁸⁾.

الهوامش

1. Kanakara Navasartian: Digging for votes: an analysis of 2008 Presidential Candidates Use of New Media, Master Thesis., California, University of Southern California, May 2008, PP. 1-3.
2. أشرف جلال حسن، «أثر شبكات العلاقات الاجتماعية التفاعلية بالإنترنت ووسائل الفضائيات على العلاقات الاجتماعية والاتصالية للأسرة المصرية والقطرية»: دراسة تشخيصية مقارنة على الشباب وأولياء الأمور في ضوء مدخل الإعلام البديل، جامعة القاهرة: كلية الإعلام، مؤتمر الإعلام والأسرة وتحديات العصر، 17-15 فبراير 2009، ص 5.
3. سميرة شيخاني، «الإعلام الجديد في عصر المعلومات»، مجلة جامعة دمشق، المجلد 26، العدد الأول والثاني، 2010، ص 442.
4. محمد عبد الحميد، المدونات: الإعلام البديل، عالم الكتب، 2009، ص 129.
5. محمد البشير بن طبة، الأنترنت والبحث العلمي في العلوم الإنسانية (دراسة استكشافية بكليات العلوم الإنسانية بجامعتي قسنطينة و ورقلة)، مذكرة ماجستير (غير منشورة)، كلية أصول الدين والشريعة والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2002/2003، ص 37.
6. Danah MICHEL BOYD, Nicole ELLISON:
«Social Network Sites: Definition, History, and Scholarship»
<http://jcmc.indiana.edu/vol13/issue1/boyd.ellison.html>, (12.02.2015).
7. www.blogkaralys.com, (01.02.2015).
8. User Activity Comparison of Popular Sites , Infographic by Go-Golf .com. Available:
<http://go-golf.com/blog/social-networking-user/>, (03.02.2015).

التحولات التكنولوجية وأثرها على التغيير الشبكات الاجتماعية على الأنترنت

9. <http://www.youtube.com/yt/press/statistics.html>, (07.02.2015).
10. <http://www.socialbakers.com/facebook-statistics/>, (28.01.2015).
11. «Pénétration des réseaux sociaux dans le monde». On ligne: www.tech/wd-com/wd/wp-content/uploads/2014/01/slide001.png, (02.02.2015).
12. «Chiffres réseaux sociaux 2015». On ligne: <http://www.blogdumoderateur.com/chiffres-reseaux-sociaux/> (24.01.2015)
13. محمد عبد الحميد، م.س.ذ، ص 12.
- * بتزويدها تلك الوثائق من قبل أشخاص عاملين في الجيش أو السلك الدبلوماسي، وتسليم تلك الوثائق إلى شبكة من الصحفيين والناشطين العاملين على الموقع الإلكتروني.
14. حر يعقوب، الشبكات الاجتماعية على الأنترنت و دورها السياسي المتصاعد: (<http://www.ahwazna.org/details.php?recordID=502>). 12.01.2015
15. «1.2 مليون جزائري يستعملون الفيسبوك» ، جريدة صوت الأحرار، يوم الثلاثاء 10 ماي 2011، الجزائر.
16. Sherry Turkle, Constructions and Reconstructions of Self in Virtual Reality: Playing in the Muses, in S. Kiesler (ed.) Culture of the Internet, (New Jersey: Erlbaun, 1997), PP. 143-155.
17. قانون الإعلام العضوي الجزائري 2012.
18. جمال سند السويدي، وسائل التواصل الاجتماعي ودورها في التحولات المستقبلية: من القبيلة إلى الفيسبوك، د.ط، 2013، ص.ص 32-33.